الاحتلال الفرنسي لتونس

م.م. عمر لطيف جاسم

وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد الكرخ الثالثة

الاحتلال الفرنسي لتونس

م. م . عمر لطيف جاسم

المستخلص

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠ أولت فرنسا اهتماماً خاصاً لتونس التي عدتها امتداد للجزائر من الجهة الشرقية وهذا ما نراه واضحاً في مؤتمر برلين المنعقد عام ١٨٧٨ الذي عقدته الدول الاستعمارية الأوربية لتقاسم مناطق النفوذ في شمال أفريقيا والذي أعطى الحق لفرنسا في احتلال تونس وأخذت فرنسا تختلق الذرائع لاحتلالها فكانت المشاكل على الحدود الجزائرية ـ التونسية ودخول قبائل بنو خمير الأرض الجزائرية والتي بدأت تضايق القوات الفرنسية وتشن غارات عليها هي التي أعطت الحجة لفرنسا في حشد قواتها العسكرية للدخول إلى الأراضي التونسية والتوجه إلى العاصمة تونس وفرض معاهدة ١٢آيار ١٨٨١والتي سلبت تونس كل مقومات الدولة واستمرت باحتلال باقي المدن التونسية وبذلك استطاعت فرنسا من تحقيق أطماعها الاستعمارية باحتلال تونس، إلا إن الاحتلال قوبل برفض شعبي من القبائل التونسية مما أدى إلى قيام حركة المقاومة الشعبية التونسية التي امتد لهيبها إلى جميع أرجاء تونس.

الكلمات المفتاحية : الاحتلال الفرنسي ، تونس ، المقاومة .

Abstract

After the French occupation of Algeria in 1830, France paid special attention to Tunisia, which it considered an extension of Algeria from the eastern side. This is what we see clearly in the Berlin Conference held in 1878, which was held by the European colonial countries to divide the areas of influence in North Africa, which gave France the right to occupy Tunisia. France began to invent pretexts to occupy it. The problems on the Algerian-Tunisian border and the entry of the BanuKhemir tribes into Algerian territory, which began to harass the French forces and launch raids on them, were what gave France the pretext to mobilize its military forces to enter Tunisian territory and head to the capital, Tunis, and impose the Treaty of May

12, 1881, which robbed Tunisia of all the components of the state. It continued to occupy the rest of the Tunisian cities. Thus, France was able to achieve its colonial ambitions by occupying Tunisia. However, the occupation was met with popular rejection from the Tunisian tribes, which led to the rise of the Tunisian popular resistance movement, the flames of which spread to all parts of Tunisia.

Keywords: French occupation, Tunisia , resistance

المقدمة

شهد القرن التاسع عشر تسابق الدول الأوربية على مناطق النفوذ في شمال أفريقيا وذلك لتصفية ممتلكات الدولة العثمانية وبالأخص تونس التي كانت محط تنافس إيطاليا وإنكلترا وفرنسا وذلك بفعل موقعها الجغرافي المميز وتعد البوابة الشرقية للقارة الأفريقية ومنذ أن وطأت أقدام فرنسا أرض الجزائر عام ١٨٣٠م أخذت تخطط من أجل احتلال تونس وتتحين الفرص والمناسبات للانقضاض عليها ، ، وبفضل سياستها الخارجية الاستعمارية تمكنت من وضع يدها على تونس وذلك من خلال مؤتمر برلين المنعقد في عام ١٨٧٨ الذي أعطى فرنسا الحق في احتلال تونس وبذلك استطاعت فرنسا وضع يدها على تونس وتذرعت بحجج واهية لاحتلالها ومن ثم فرض معاهدة باردو التي جردت تونس من سيادتها في مجالات الدفاع والسياسة الخارجية لتدخل تونس مرحلة جديدة من إيالة عثمانية ثم إلى محمية ثم إلى مستعمرة فرنسية وحكم البلاد حكماً غير مباشر بواسطة السلطة التقليدية بإبقائها في وظائفها ولكن بمراقبتها عن كثب .

خطة البحث :-

منهجية البحث: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بغية تسليط الضوء على ما حصل من تطورات والكشف عن حقيقة السياسة الاستعمارية الفرنسية ومقاومة الشعب التونسي للاحتلال الفرنسي .

مشكلة البحث : تتضمن مشكلة البحث عن عدة تساؤلات سيتم الإجابة عليها في ثنايا البحث وهذه التساؤلات هي : ما هي الأسباب التي دفعت فرنسا إلى احتلال تونس ؟ وما هي الآثار التي ترتبت على هذا الاحتلال ؟ وما هي الأساليب المعتمدة من قبل الشعب التونسي في مقاومة الاحتلال الفرنسي ؟ وغيرها من التساؤلات .

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في فهم الأطماع التوسعية للدول الاستعمارية وسلب خيرات البلدان المستعمرة بحجج واهية وكذلك تكمن أهمية البحث في دور المقاومة الشعبية للدول المستعمرة وترسيخ روح المقاومة والتمرد على الاستعمار وأهدافه التوسعية .

هيكلية البحث

اعتمدنا في هذه الدراسة على خطة تتكون من مقدمة تطرقنا فيها إلى تسابق الدول الاستعمارية وخاصةً فرنسا من فرض هيمنتها على تونس ، وثلاث مباحث .

المبحث الأول تضمن دوافع الاحتلال الفرنسي لتونس أهمها هو دافع الاحتلال والهيمنة الاستعمارية والدافع الديني وهو إرجاع العرب إلى الديانة المسيحية ، ودافع البحث عن الأسواق وكذلك موقع تونس القريب من الجزائر وخوف فرنسا من شن القبائل التونسية الهجمات على القوات الفرنسية ومؤتمر برلين عام ١٨٧٨ الذي فرضت فيه الدول الأوربية تقسيم الدولة العثمانية والتي أعطت فرنسا حق احتلال تونس .

المبحث الثاني تضمن الاحتلال الفرنسي لتونس وبدأنا بمقدمة وتطرقنا إلى دخول القوات الفرنسية إلى الأراضي التونسية وموقف الباي محمد الصادق والدولة العثمانية من دخول القوات الفرنسية إلى البلاد التونسية وفرض معاهدة الحماية وكذلك اسلوب الإدارة الفرنسية بعد توقيع معاهدة باردو وتقدم الجيش الفرنسي واحتلال المدن التونسية .

المبحث الثالث تضمن المقاومة التونسية للتدخل الفرنسي في تونس شمل المقاومة في الشمال فقد تطرق إلى بداية المقاومة التونسية عند دخول القوات الفرنسية إلى تونس وفرض معاهدة الحماية على تونس و المقاومة في الجنوب التونسي وشملت المقاومة في الجنوب مدينة صفاقس ومدينة قابس والمقاومة في الساحل والوسط وكانت أهم معاقل المقاومة فيها في مدينة الحمامات وبنو حفيص ومنطقة الأربعين وزغوان ومن ثم الدفاع عن مدينة القيروان .

ثم أتممناها بخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة .

المبحث الأول

دوافع الاحتلال الفرنسي لتونس

١-دافع الاحتلال والهيمنة الاستعمارية

فتحت الثورة الفرنسية التي قامت عام ١٧٨٩ أبواب النصر للفرنسيين وجعلتهم سادة أوربا حتى أصبحوا يملون أرادتهم على من يشاءون ولكنهم مع مرور الوقت خسروا كل ما بنته الثورة وبدأوا يتطلعون إلى إمبراطورية جديدة ليعوضوا ما خسروه لذلك بدأوا بالبحث عن سيطرة جديدة [١].

كانت الحملة الفرنسية على تونس عام ١٨٨١ بدافع التوسع الاستعماري الأوربي في وقت كانت فيه أوربا تتقدم نحو الازدهار والقوة والسيطرة ، حيث أصبحت تونس أمام أنظار الدول الأوربية محل تتنافس تلك القوى وخاصةَ فرنسا [٢] .

ومنذ أن تولى جول فيري [٣] رئاسة الحكومة الفرنسية أدرك أن الظروف مهيأة لاحتلال تونس وكانت رغبته في ذلك بتوقف النفوذ الإيطالي في تونس والسيطرة على الموانئ الإستراتيجية المهمة في بنزرت التي تعد أكبر الموانئ في البحر المتوسط ملاحة حيث كان يمثل قاعدة بحرية من الصنف الأول في البحر الأبيض المتوسط وهمزة وصل بين الشرق والغرب [٤].

٢-الدافع الديني :-

كان التوجه الفرنسي إلى القارة الأفريقية متمسكاً بالدافع الديني حيث كان ذلك كرد فعل على التوسع الإسلامي في أوربا [٥]، كانت تسمية الصراع بين الشرق والغرب وبين الإسلام والمسيحية قد نشأ منذ العصور الوسطى وما إن استطاعت أوربا إخراج المسلمين من بلاد الأندلس (اسبانيا والبرتغال) عام ١٤٩٢ كانت تتطلع لشن حملات ضد المسلمين انتقاماً منهم وتأمين عدم تكرار تقدم المسلمين إلى أوربا مرة أخرى[٦]، ساعدت الاستكشافات البحرية على اكتشاف سواحل أفريقيا وبذلك انطلقت البعثات التبشيرية إلى القارة الإفريقية تدعو إلى اعتناق الديانة المسيحية [٧].

كانت مطالبة رجال الدين الفرنسيين على إرجاع الشعب العربي إلى الديانة المسيحية حيث كانوا يعتقدون بأن الديانة المسيحية هي دين أغلبية أجدادهم وإن الدين الإسلامي قد

انتزع منهم المسيحية بالقوة ، وبذلك فقد اتفق جميع المبشرون والساسة على إن الدين الإسلامي في القرن الأفريقي هو العدو للكنيسة ولفرنسا [٨] .

بعد الانتصارات العسكرية الفرنسية في الجزائر عمد رجال الدين والساسة الفرنسيون على التطلع إلى تونس والاستثمار فيها وإقامة الكنائس حيث نشطت حركة نشر الديانة المسيحية بعد مطالبة الحكومة التونسية بالموافقة بشكل مبدئي بإقامة كنيسة في تونس في مدينة قرطاج تحمل اسم (سان لوي) [٩] .

٣-البحث عن الأسواق

مرت فرنسا بمرحلة كساد اقتصادي حيث تميزت فترة ما قبل احتلال فرنسا لتونس بانخفاض الأسعار والعائدات وسجلت فرنسا فوائض في بضاعتها وفي رؤوس أموالها . وفقدت الصناعة الميكانيكية أهم دعائمها وأدى ذلك إلى تسجيل فائضاً في المنتجات الفرنسية مما اضطر

الحكومة الفرنسية إلى تقليص طلبات الفولاذ ، وتوقفت عملية النمو في القطاعات الصناعية مما أضطر إلى طرد عدد كبير من اليد العاملة فيها [١٠] .

دفعت الشركات المالية الفرنسية التي كانت تهدف إلى تصدير جزء من بضاعتها التي تكدست في الأسواق الداخلية الحكومة الفرنسية للتوجه إلى تونس حيث كانت بأمس الحاجة إلى أسواق جديدة ومواطن للاستثمار [١١] .

كان لتطلع فرنسا إلى تونس واستثمار أموالها فيها وخاصة في الميدان الفلاحي الذي كان يوفر لهم أرباحاً كبيرة واستغلال أموالهم في البحث عن المواد الأولية ورخص اليد العاملة كل ذلك كان من شأنه أن ينشط كل أنواع الصناعات الثقيلة كالمناجم وصناعة الصلب والمنشآت الميكانيكية وصناعة وسائل النقل ويمكنها استرجاع مستوى إنتاجها إلى وضعه الطبيعي ، واستيعاب عدد كبير من العاطلين ، فتتسع بذلك السوق الداخلية الفرنسية وتنتعش الصناعات الخفيفة والصناعات الفلاحية ، فتستوعب بعض العمال وتساهم بدورها في حل مشكلة الشغل وهكذا تجد الحكومة الفرنسية من تصدير رؤوس الأموال حلاً لأزمتها الاقتصادية [١٢].

٤- موقع تونس القريب من الجزائر والخوف من الثورات التونسية :

كانت تونس تتمتع بموقع استراتيجي في القارة الأفريقية وعلى مقربة من القارات الثلاث وليس ببعيد من مضيق جبل طارق والبحر المتوسط والمحيط الأطلسي [١٣] .

وبعد أن تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر عام ١٨٣٠ حتى أصبحت القوات الفرنسية المحتلة للجزائر جارة لتونس حيث لم يكن يفصلها إلا حدود مرسومة ، وخوف فرنسا من أن تصبح تونس قاعدة لانطلاق حركات ثورية مؤيدة للشعب الجزائري من داخل الأراضي التونسية وتهديد وجودها في الجزائر [١٤] .

وتذرعت الحكومة الفرنسية بضرورة حماية الحدود الجزائرية لتدخل القوات الفرنسية لتونس متذرعة إن القوات الفرنسية تتعرض باستمرار لهجمات القبائل التونسية وخصوصاً قبائل بنو خمير [١٥] التي كانت تسكن على الحدود التونسية الجزائرية ، ومن ذلك بدأت فرنسا تخطط لاحتلال تونس وتنظم حملة عسكرية لمعاقبة القبائل التونسية المتواجدة على الحدود التونسية الجزائرية وتكوين إمبراطورية استعمارية في شمال أفريقيا [١٦] .

إن المناوشات على الحدود بين القبائل التونسية والجزائرية لم تكن وليدة شهر آذار ١٨٨١ بل تعود إلى زمن بعيد حيث سجلت السلطة الجزائرية ما لا يقل عن ٢٣٨٠ حادثة فيها بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٨١ أي بمعدل ٢٠٠ حادثة في السنة وهذه الأحداث على حد تعبير هذه السلطات نفسها لا تمثل في نهاية الأمر سوى فرصة انتهزناها بسرعة للخروج من وضعية مزرية لتحقيق أهداف سياسة استعمارية وأكثر أهمية فلم تكن قضية قبائل بنو خمير إذن سوى تعلة واهية اتخذتها حكومة فرنسا لتشرع في شهر آذار ١٨٨١ في احتلال البلاد التونسية [١٧] .

٥- مؤتمر برلين وأثره في احتلال تونس

عقد مؤتمر برلين الذي دعت إليه النمسا في برلين في١٣حزيران عام١٨٧٨م برئاسة بسمارك [١٨]،حيث جرى في هذا المؤتمر تعديل معاهدة سان ستيفانو[١٩] ، حضر المؤتمر الدول الكبرى بريطانيا وروسيا وألمانيا والنمسا وممثلين عن بعض الدول الأخرى واشترطت فرنسا في قبولها حضور مؤتمر برلين عدم تعرض المؤتمر لمسائل لم تنص عليها معاهدة سان ستيفانو[٢٠].

عرض بسمارك في برلين تقسيم الدولة العثمانية فعرض على روسيا البوغازين (البسفور والدردنيل) وعلى بريطانيا مصر وعلى النمسا البوسنة والهرسك وإعطاء فرنسا تونس والشام ، كان عرض بسمارك إعطاء فرنسا لتونس هو إبعاد فرنسا عن المطالبة بماقطعتي (الألزاس واللورين) اللتان احتلتهما ألمانيا عام ١٨٧٠ وكذلك خلق عداء بين فرنسا وإيطاليا خصوصاً إن إيطاليا كانت أكثر دول العالم اهتماماً بتونس [٢١] .

وما كان من إيطاليا لتتخلى بالطبع عن مطامعها في تونس إلا إنها لم تلق دعماً فعلياً يُمكنها من تحقيق غاياتها ، بل عارضت انكلترا على العكس من ذلك هيمنة الإيطاليين على الإيالة التونسية لأن هذه الهيمنة تخول لهم مراقبة حوض مضيق صقلية وتمكنهم في نهاية الأمر من قطع طريق الهند الذي أصبح يمر بالبحر المتوسط منذ فتح قناة السويس ١٨٦٩[٢٢] .

بعد أن تخلت بريطانيا وألمانيا عن تونس في مؤتمر برلين وإعطائها تونس كهدية لها خرجت فرنسا بنجاح سياسي لتسويق مشروع الحماية الفرنسية على تونس دون الحاجة إلى خلق جبهة معارضة داخلية وخارجية محاولة تجنب الدخول بطرق عسكرية مباشرة حتى لا تدفع الكثير من أرواح جنودها إلا إذا دعت الضرورة لذلك [٢٣].

المبحث الثاني

الاحتلال الفرنسي لتونس

قررت الحكومة الفرنسية برئاسة جول فري في آذار ١٨٨١ احتلال البلاد التونسية وتم إعداد تخطيط متكامل بمراحله العسكرية والدبلوماسية وتبريراته ، وتتمثل الخطوة الأولى في احتلال شمال البلاد وفرض معاهدة الحماية على الباي محمد الصادق [٢٤] ، ثم تستكمل الخطوة الثانية وهي السيطرة على كامل البلاد التونسية واستند تبرير الحملة العسكرية إلى تعلة تدخل محدد لتأمين الحدود الفرنسية بالجزائر من غارات قبائل الشمال التونسي وخاصةً قبائل بنو خمير [٢٥] .

بعد الاستعدادات العسكرية مهدت فرنسا لحمايتها على تونس بإثارة مشكلة القبائل على الحدود التونسية الجزائرية وتضخيم هذه المشكلة بحيث أظهرت إن أمر هذه القبائل قد أفلت من يد حكومة الباي التونسية وإنها منذ زمن طويل تشق عصا الطاعة على حكومته ولا

تخضع لسلطاتها وأنها تشن غارات باستمرار على القرى والمدن الجزائرية ثم تفر إلى أوكارها في الجبال التونسية مما يكبد الفرنسيين خسائر جسيمة [٢٦] .

استغلت الحكومة الفرنسية المناوشات الحدودية ليومي ٣٠-٣١ آذار عام ١٨٨١ بين جنود فرنسيين وبعض التونسيين من قبائل بنو خمير للحصول على مصادقة البرلمان الفرنسي في ٧ نيسان ١٨٨١ على اعتمادات لعملية عسكرية قدمها جون فري على أنها مجرد تدخل أمني على الحدود التونسية الجزائرية ، وشنت حملة صحفية لتبرير التدخل الأمني المزعوم لدى الرأي العام الفرنسي ، على حين رفض الباي محمد الصادق طلب الحكومة الفرنسية تتبع القبائل المعنية داخل التراب التونسي [٢٧] .

دخول القوات الفرنسية إلى الأراضي التونسية

في يوم ٢٤ أبريل ١٨٨١ تسربت كتيبة فرنسية تضم ٣٥٠٠٠ ألف مقاتل من الجزائر إلى البلاد التونسية بقيادة الجنرال لوجيرو[٢٨] لمحاصرة قبائل بنو خمير وانقسمت باتجاهين الأول قام باحتلال مدينة الكاف[٢٩] في ٢٦أبريل وسوق الأربعاء وعين دراهم في ٢٩ أبريل أما الاتجاه الآخر قام باحتلال طبرقة [٣٠] يوم ٢٦ ابريل بقيادة وحدة المشرق البحرية بعد أن قصفتها بالقنابل[٣١].

قامت القوات الفرنسية بإنزال قواتها في ميناء بنزرت وبعد احتلال بنزرت تقدموا إلى العاصمة تونس في ١٢ أيار كانوا يعسكرون على بعد ٢٠ كيلو متر من قصر باردو[٣٢] .

موقف الباي محمد الصادق والدولة العثمانية من دخول القوات الفرنسية إلى البلاد التونسية

أما من جانب موقف باي تونس من الاحتلال الفرنسي قام بالاحتجاج لدى الدول الأوربية مطالباً توقف التدخل الفرنسي وإنقاذ البلاد كما طلب تدخل الدولة العثمانية باعتبارها راعية للدول الإسلامية لم يكتفي بهذا الحد حيث قام بإرسال جيش لصد الاحتلال الفرنسي إلا إن هذا الجيش عاد بسرعة ولم يكن له أي موقف أمام الاحتلال الفرنسي [٣٣] .

أما موقف الدولة العثمانية فما إن وصل نبأ تقدم القوات الفرنسية إلى تونس حتى اجتمع مجلس الوزراء العثماني وقرر التفاوض مع فرنسا أو تحكيم الدول الكبرى في قضية تونس إذ كانت

الدولة العثمانية تأمل أن لا تباشر فرنسا أي ضغط على حكومة باي تونس لقبول الحماية[٣٤].

لكن الدولة العثمانية قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف حيث عجزوا عن تقديم العون والدعم للشعب التونسي الذين كانوا يتطلعون للدولة العثمانية لممارسة واجبها في هذه البلاد الإسلامية التي كانت تابعة للسلطة العثمانية [٣٥] .

فرض معاهدة باردو على الباي محمد الصادق

في ذلك اليوم أي في ١٢ آيار ١٨٨١ قدم القنصل الفرنسي(روستان)[٣٦] ، إلى الباي محمد الصادق نسخة المعاهدة المطلوب التوقيع عليها والتي كان قد وضعها جول فيري ، وأرسلت مع القائد الفرنسي بريار[٣٧] ، وأعطى الباي مهلة حتى الساعة التاسعة لقبول المعاهدة أو رفضها ، من جانب آخر قام الباي بالاجتماع بمجلس الدولة التونسي لعرض الأمر عليه وارتفعت أصوات بعض المعارضين من أعضاء المجلس وطلبوا المقاومة ودعوة الشعب إلى الجهاد [٣٨] . إلا إن الباي محمد الصادق كان مضطراً إلى قبول وتوقيع المعاهدة خاصةً وإنه في حال رفض المعاهدة فإن أخوه الطيب باي مستعداً لتوقيع معاهدة الحماية بعد الجلوس على العرش مكانه [٣٩]

في تلك الأثناء دخل القنصل الفرنسي روستان مع حاميه إلى قصر باردو بعد أن أعلم الباي رسمياً بهذه المقابلة وما كان من الباي إلا إن يخضع ويوقع على معاهدة باردو في ١٢ أيار ١٨٨١ والتي تكرس الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية [٤٠] .

نص معاهدة باردو أو (قصر السعيد)

إن دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس، لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيراً على حدود الدولتين وبسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات ودادهما القديم وروابط حسن الجوار، فقد اتفقنا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين وبناءاً على ذلك فإن فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عين العماد بريار نائباً مفوضاً من طرفه فاتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على البنود الآتية:-

البند الأول:- إن معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني:- لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتم على دولة الجمهورية الفرنسية اتخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتل القوات العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنسية والتونسية ، وتقرران معاً بأن الإدارة المحلية قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث:- تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كل خطر يمكن أن يهدد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع:- تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوربية.

البند الخامس:- يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهم الجانبين.

البند السادس:- يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسية ومصالحها وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدماً .

البند السابع:- تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحق الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسية من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن:- تفرض غرامة حربية على القبائل العاصية بالحدود والسواحل وتحدد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع:- لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهد بأن تمنع قطعاً إدخال السلاح والذخائر الحربية الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر:-يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن

وكتب بالقصر السعيد في ١٢ ماي ١٨٨١

الإمضاء : محمد الصادق باي ـ العماد "بريار" (٤١).

اسلوب الإدارة الفرنسية بعد توقيع معاهدة باردو

توخت الحكومة الفرنسية الحذر في التعريف بسيادتها على البلاد التونسية مراعاة لمصالح الدول التوسعية الأوربية ولاسيما إيطاليا وتجنباً لإزعاج السلطة العثمانية وحرصاً على تيسير احتلال البلاد وإدارتها بأقل التكاليف الممكنة عسكرياً ومالياً وذلك بالحفاظ الشكلي على دولة البايات واستخدامها للسيطرة الفرنسية (٤٢) .

كان فرض فرنسا لصيغة الحماية بحثاً عن شكل آخر مغاير لتجربة ضم الجزائر إليها وكانت تلك التجربة قد كبدتها خسائر باهظة في المال والرجال ، فكانت الصيغة جديدة تتمثل في حكم البلاد حكم غير مباشر بواسطة السلطة التقليدية بإبقائها في وظائفها ولكن مراقبتها عن كثب ، وهكذا فإن دولة البايات وإدارتها ضلتا كما هما ولكن قام إلى جانبهما مراقبون فرنسيون من مقيم عام إلى جانب الباي ، وكاتب عام لدى الإدارة المركزية والوزراء التونسيين ، ومراقبين مدنيين في الولايات يشرفون على القياد وممثلي السلطة فيها ، أما شؤون الدفاع والعلاقات الخارجية فهي وحدها التي انتقلت بتمامها وكمالها إلى سلطة الحماية بمقتضى إبرام المعاهدات (٤٣)

من الملاحظ إن معاهدة باردو قد سلبت تونس كل مقومات الدولة المستقلة فهي تعطي القوات الفرنسية حق احتلال المراكز التي تراها صالحة لاستتباب الأمن وتضع الباي تحت حماية فرنسا التي تتعهد بحمايته هو وعائلته من أي خطر في مقابل ذلك على ألا يعقد الباي أي اتفاقية دولية مع دولة أجنبية دون علم فرنسا وبموافقتها مقدماً (٤٤) .

تقدم الجيش الفرنسي واحتلال المدن التونسية

ما إن وقعت معاهدة باردو اعتقدت السلطات الفرنسية بأن ملف القضية التونسية قد طوى الشيء الذي جعلها تشرع منذ١٠حزيران ١٨٨١في التخفيف من قواتها العسكرية والاقتصار على فرقتين تابعتين للجيش تعدادها ٦٠٠٠جندي،هذا التخفيف في عدد جنود جيش الاحتلال الفرنسي من٤٠٠٠٠إلى ٦٠٠٠ قد ساعد في تنامي حركة المقاومة التي امتدت ألسنة لهيبها بكامل أرجاء البلاد في صيف١٨٨١وهذا ما دفع بالحكومة الفرنسية إلى تعزيز جيوشها لمواجهة المواقف فأرسلت إلى البلاد التونسية ٨٤ كتيبة برية بغض النظر عن القوات البحرية [٤٥].

قام الجيش الفرنسي بالتوجه إلى صفاقس[٤٦] ، بعد نشوب المقاومة الوطنية فيها وظهور حركات داعمة للمقاومة المسلحة ، شرع الاسطول الفرنسي بقصف المدينة بالمدفعية لتكبيد المقاومة الشرسة فيها الكثير من الخسائر وما أن رأى الجيش الفرنسي قوة المقاومة حتى جاءت تعزيزات جديدة من الجيش الفرنسي وتمكنت من إنزال الجنود وتحت ضغط قذائف المدفعية الفرنسية إلا إن المقاومة تخلت عن المدينة بعد أن دكت بالمدفعية من طرف الأسطول الحربي الفرنسي الذي ضم ١٧ سفينة و ٦٠٠٠ آلاف جندي والتي أسفرت عن حوالي ألف شهيد [٤٧] .

بعد سقوط مدينة صفاقس توجه الجيش الفرنسي إلى خليج قابس [٤٨] في ٢٤ تموز ١٨٨١ وذلك لإسقاط مدينة قابس بعد ظهور المقاومة فيها وتكبيد قوات الاحتلال الفرنسي الخسائر الكبيرة وصمد الثوار أكثر من أربعة أشهر ولكن الجيش الفرنسي استطاع دخول المدينة في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٨١ بعد أن جاءت تعزيزات عسكرية جديدة مكنته من احتلال مدينة قابس [٤٩].

توجه الجيش الفرنسي إلى مدينة القيروان وحرصت فرنسا على غزوها واحتلالها باعتبارها المدينة الثانية الكبرى بالإيالة التونسية ومركزها الروحي ، وقصد تهدئة الرأي العام بفرنسا ومجلس نوابها فشرعت بالسيطرة على الطرق المؤدية لها [٥٠] ، وانطلقت نحوها ثلاث جيوش جرارة في منتصف شهر أكتوبر ١٨٨١ :

الجيش الأول انطلق من مدينة تبسة الجزائرية على الحدود التونسية يوم ١٦ اكتوبر ١٨٨١.

الجيش الثاني انطلق من مدينة حمام الأنف يوم ١٧ أكتوبر .
الجيش الثاني انطلق من مدينة سوسة غرة أكتوبر [٥١] .

وما إن وصلت تلك الجيوش التي كان يقودها الجنرال أبيان إلى مدينة القيروان في ٢٦ أكتوبر حتى غادر ما بقى من المقاومين ودخل الجيش الفرنسي القيروان ، وباحتلال مدينة القيروان اختتمت سلسلة المعارك الكبرى بين الجيش الفرنسي والمقاومة التونسية [٥٢] .

توجه بعض المقاومين إلى الجنوب التونسي ومواصلة الكفاح والتي كانت موجهة لها حملة فرنسية استطاعت من السيطرة على مناطق الجنوب بقيادة الجنرال فليبر مع جيشه البالغ عدده ٥٠٠٠ آلاف مقاتل واستطاعت بذلك القوات الفرنسية من سيطرتها على كامل البلاد التونسية [٥٣].

وفي نهاية اكتوبر ١٨٨١ تم احتلال العاصمة تونس دون مقاومة كما حدث في القيروان ودخل الجنرال (maurand) المدينة لأن الجيش الفرنسي لم يدخلها يوم عقد معاهدة الحماية في ١٢ ايار ١٨٨١ تجنباً لما عسى أن يحدث من اضطرابات وقلاقل ومراعاة لاستسلام الباي محمد الصادق الذي طلب عدم اكتساح العاصمة [٥٤] .

المبحث الثالث

المقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي

ما كادت الجيوش الفرنسية أن تضع قدمها على الأراضي التونسية حتى أعلنت القبائل التونسية رفضها للاحتلال فاندلعت الثورة في جميع أنحاء البلاد التونسية كل ساهم حسب إمكانياته حتى لا يحس المحتل بالاستقرار والهدوء [٥٥] ، والشعب التونسي كغيره من الشعوب التي تعرضت للاحتلال لم يستسلموا لسياسة الأمر الواقع واجتهدوا بما لديهم من وعي ونضوج سياسي وحس وطني من أن يوصلوا رسالة للمستعمر إن هذا الشعب ليس من اليسير احتلاله وإن كان الفارق في الإمكانيات وإنه لن يرضى بالعبودية والاستغلال [٥٦] .

المقاومة في الشمال

ما إن دخلت القوات الفرنسية الأراضي التونسية في ٢٤ أبريل ١٨٨١ حتى هبت القبائل لمقاومتها كانت قبائل بنو خمير وسكان الجبال عموماً في طليعة حركة المقاومة شمال البلاد ، فما أن سرى نبأ وصول السفن البحرية إلى ميناء طبرقة حتى هب متطوعون

من أولاد سعيد والحوامدة بقيادة شيوخهم للمقاومة ومواجهة الأعداء ولم تتمكن قوات الاحتلال الفرنسي من الاستيلاء على الكاف وطبرقة حتى ٢٦ أبريل ١٨٨١ بعد أن قصفتها بالمدفعية [٥٧] .

أما الفرع الآخر من قبائل بنو خمير فلم تغادر مواقعها بل بقيت لقطع الطريق على القوات القادمة من الجزائر واشتبكت معها في معارك كثيرة منها معركة بن بشير في ٣٠ابريل التي استشهد فيها حوالي ١٥٠ من التونسيين وظهر فيها التفوق المطلق لقوى النار الفرنسية أمام شجاعة المقاتلين التونسيين [٥٨]، في تلك الأثناء قامت القوات الفرنسية بإنزال قواتها في ميناء بنزرت وقامت باحتلال بنزرت في ماي ثم توجهت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال بريار إلى مدينة تونس بوحدة عسكرية تعدادها ٨٠٠٠ جندي [٥٩] .

اجتمع الباي محمد الصادق مع مستشاريه وذلك قبل يوم واحد من دخول القوات الفرنسية إلى قصر باردو يناقشهم في أوضاع تونس ومقاومة القوات الفرنسية التي تتقدم نحو تونس وأكد المجتمعون من رجال الشرطة والقضاء وأهل الفتوى إذا كان الباي يعلم أنه لا قوة ولا قدرة له على المقاومة وإن الشرع لا يرى مانعاً من الاستسلام لكن العربي زروق [٦٠] ، انتفض في وجه هؤلاء الذين لا يعبرون عن شرع أو شعب وإنما يعبرون عن مصالحهم واقترح على الباي مقاومة القوات الفرنسية المتوجهة إلى قصر باردو [٦١].

في ١٢ ايار ١٨٨١ دخلت القوات الفرنسية إلى قصر باردو بمعية القنصل الفرنسي روستان بعد أن أعلم الباي رسمياً بالمقابلة وما كان من الباي إلا أن يخضع ويوقع معاهدة باردو التي تكرس الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية[٦٢] .

بعدها أصدر الباي محمد الصادق أمره بعزل العربي زروق من جميع وظائفه وكان مصير العربي زروق معروفاً أما القتل بواسطة الباي أو الفرنسيين أو الهرب إلا إنه آثر الهرب بعد أن أشعل موقفه شرارة الجهاد [٦٣] .

اعتقدت القوات الفرنسية أنه بمجرد احتلال المناطق الإستراتيجية في الشمال وتوقيع الباي على معاهدة الحماية يمكنها أن تطمئن لوضعها دون أن تتكلف جيشاً جراراً ، لذلك سحبت عدداً كبيراً من قواتها[٦٤] . قامت القوات الفرنسية بتخفيض عدد جنودها من ٤٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠ [٦٥] .

أدى توقيع معاهدة باردو في ١٢ ايار ١٨٨١ إلى انتشار الثورة الشعبية في جميع أنحاء البلاد وحمل الشعب التونسي السلاح للدفاع عن حريته واستقلاله ضد الاحتلال الفرنسي[٦٦].

هذا ما دفع الحكومة الفرنسية إلى تعزيز جيوشها لمواجهة الموقف ، فأرسلت إلى البلاد التونسية ٨٤ كتيبة برية بغض النظر عن القوات البحرية [٦٧].

بدأت الاتصالات الحقيقية للمقاومة بعد انعقاد الاجتماع العام للقبائل الرافضة للاحتلال في جامع عقبة بن نافع بالقيروان في ١٥ حزيران١٨٨١ ، وقبلت هذه القبائل تزعم علي بن خليفة [٦٨] قائد نفات ، وقد عبر الذين حضروا الاجتماع عن مواصلة الكفاح إلى النهاية وضرورة التنسيق بين عناصر المقاومة ، وقد عرفت الحركة انتشاراً واسعاً حتى إن فرنسا قدرت ما يكفيها لمقاومتها ٥٠ ألف جندي [٦٩] .

كانت إستراتيجية المقاومة ترمي إلى منع جيش الاحتلال من محاصرة صفاقس من جهة البحر والوقوف في وجهه حتى لا يتوغل داخل البلاد وقطع كل السبل المؤدية إلى القيروان[٧٠] .

المقاومة في الجنوب

المقاومة في مدينة صفاقس

يوم ٢٥ حزيران ١٨٨١ أعلنت صفاقس الثورة وحصنت المدينة وأغلقت الأبواب ووزعت الأسلحة على المقاتلين [٧١] ، كانت مدينة صفاقس إحدى قلاع المقاومة الصلبة تأسست فيها لجنة دفاع عن المدينة تضم ٥٠ عضواً تحت زعامة محمد الشريف قائد المدفعية في صفاقس وبرزت عمليات المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي حيث هوجمت قنصلية فرنسا وأطاح المقاومون بالعلم الفرنسي وضربوا نائب القنصلية [٧٢] ، وصل علي بن خليفة إلى ضواحي مدينة صفاقس وأصبح هو القائد الفعلي لمدينة صفاقس وأعترف سكان المدينة بنفوذه وسلطته وطرحت عليه لجنة الدفاع عن المدينة كل المسائل الدقيقة التي يمليها الموقف [٧٣] .

قامت القوات الفرنسية بقذف المدينة بالقنابل من البوارج الحربية وتجددت الاشتباكات بين الثوار والجيش الفرنسي ، ثم وصلت تعزيزات أخرى في ١٤ تموز تضم ١٧ سفينة و٦٠٠٠

الآف جندي ودكت المدينة بالمدفعية أياماً عديدة وتساقطت أسوار المدينة ونزل الجيش الفرنسي ودخلوا المدينة واستشهد حول أسوار المدينة عدد كبير من الثوار [٧٤] .

وبذلك سقطت صفاقس في ١٦ تموز ١٨٨١ رغم ما أبداه رجال المقاومة من بسالة وشجاعة والتي أسفرت عن استشهاد حوالي ألف شهيد [٧٥] .

المقاومة في مدينة قابس

بعد احتلال القوات الفرنسية مدينة صفاقس انسحبت قوات المقاومة التونسية بزعامة الحاج صالح بن خليفة شقيق علي بن خليفة نحو مدينة قابس لمحاولة الدفاع عنها ، في يوم ٢١ تموز ١٨٨١ بعث قائد بارجة فرنسية راسية بالمياه الإقليمية لقابس برسالة إلى السلطة الجهوية يطلب التعرف على رأي سكان مدينة قابس تجاه تواجد الجيش الفرنسي [٧٦] .

لذلك عقد اجتماع في بيت خليفة قرية المنزل بقابس بحضور القاضي والمفتي وهو ما يشير للدعم الديني للمقاومة ، وأصروا في ذلك الاجتماع رفض التواجد الفرنسي ومواصلة المقاومة ، في يوم ٢٤ تموز ١٨٨١ وصل الاسطول الفرنسي إلى قابس ، كان عدد الثوار نحو ٢٠٠٠ مقاتل و٥٠٠ فارس ، وبدأ الأسطول الفرنسي بقصف قرية المنزل ، واستقبل أعيان قرية جارة في مدخل القرية الجيش الفرنسي والذين انتصبوا ببرج هذه البلدة ليطلقوا النار على الثوار المجتمعين في قرية المنزل ، إلا إن ذلك لم يمنع الثوار من أن يفرضوا على قرية جارة والفرنسيين معركة بسوق جارة جعلت القوات الفرنسية تعود إلى الشاطئ ليحتموا بسفنهم [٧٧] .

في ٢٦ تموز هجمت القوات الفرنسية مرة أخرى واحتلوا قرية جارة ، إلا إن ذلك لم يحد من عزيمة المقاومة التي تواصلت مع بقية قرى قابس مكبدة القوات الفرنسية خسائر في العتاد والأرواح ، وصمدت المقاومة في مدينة قابس لمدة تزيد عن الأربعة أشهر واصلوا فيها مناوشات ضد القوات الفرنسية التي لم تتمكن من السيطرة الفعلية على مدينة قابس إلا في نهاية شهر نوفمبر ١٨٨١ [٧٨] .

المقاومة بالساحل والوسط

شملت المقاومة قبائل جلاص والهمامة وسكان قرى الساحل الذين هبوا في غمرة الحماس لمقاومة الاحتلال بعد إن انظم إليها عدد كبير من الجنود النظاميين الذين هربوا من جيش الباي للدفاع عن بلادهم [٧٩] .

شرع الجيش الفرنسي في احتلال داخل البلاد ولكن رجال المقاومة منعوهم من الوصول إليها واعترضوا المقاومون الجيوش الفرنسية قرب مداخل مدينة الحمامات ورغم تفوق القوات الفرنسية في العتاد والأعداد إلا إنهم هزموا شر هزيمة وانسحبوا إلى حمام الأنف في معارك دارت سجالاً أيام ٢٦ إلى ٢٩ آب ١٨٨١ وتكبد فيها القوات الفرنسية عشرات بين قتلى وجرحى [٨٠] .

في ٢٦ آب ١٨٨١ بدأ رجال المقاومة بالانقضاض على المعسكرات التابعة لكتيبة المقدم كورياز(correor) المرابطة في بئر حفيص قرب قرمبالية ، ولم يكتف المقاومون بذلك بل التحقوا في الليلة الفاصلة بين ٢٨ و٢٩ آب ١٨٨١ بالقوات الفرنسية وردوها على أعقابها في منطقة الأربعين بعد معركة ضارية تواصلت من منتصف الليل حتى الرابعة صباحاً[٨١] .

اضطر المقاومون إلى تغيير طريقتهم في القتال وذلك لعدم قدرتهم على مواجهة القوات الفرنسية التي تفوقهم عدداً وعدة ونظراً للإجراءات التعسفية التي اتخذتها القوات الفرنسية ضد مدينة زغوان تخلت المقاومة عن طريقة الهجوم المباشر واكتفت بمراقبة المسالك التي تؤدي إلى مدينة القيروان لكي يمنعوا قوات الاحتلال الفرنسي من التقدم نحو القيروان المدينة المقدسة [٨٢] .

عملت السلطات الفرنسية على تحقيق الهدف الذي رسمته لنفسها والمتمثل في إتمام احتلال تونس وذلك بغزوها للقيروان التي تعتبر رمز للمقاومة وموطناً فعليا لها ، ومركز تجمع القبائل التي تعاهدت على الاستمرار في الثورة والمقاومة[٨٣].

كانت خطة القوات الفرنسية تقضي بدخول مدينة القيروان من ثلاث جهات الأولى اشتبكت في طريقها إلى القيروان مع ثوار القصرين والثانية اشتبكت مع ثوار جلاص والثالثة اشتبكت مع ثوار قبائل الوسط في وادي لاية[٨٤] .

كانت خطة القوات الفرنسية تعكس دون شك تخوفات القوات الفرنسية من المقاومة في القيروان مما جعلهم يعتقدون إن استلامها لن يكون سهلاً، ثم إن هذا يمكن أن يعتبر دلالة واضحة على أن فرنسا لمست خلال صراعها مع المقاومة الطابع الجهادي بشكل فعلي وإلا ما كنت تضع هذا الاعتبار للمدينة بعد أن احتلت أماكن عديدة هامة قبلها [٨٥] .

اضطرت قوات المقاومة المكلفة بحماية الطريق الرابط بين زغوان والقيروان إلى التقهقر نحو القيروان والساحل بعد محاولات بائسة إيقاف زحف القوات الفرنسية التي تفوقها تقنياً وعدداً [٨٦] .

ثم بدأت القوات الفرنسية هجومها على القلعة الكبرى التي تمثل أهم معاقل المقاومة في الساحل وكذلك قربها من القيروان واستبسل رجال المقاومة للدفاع عن المدينة وخاصة في معركة الأربعين إلا إنهم لم يستطيعوا الصمود تحت ضغط قوى النار الفرنسية ، تقدمت القوات الفرنسية بقيادة المقدم مولان إلى بلدة جمال للسيطرة على المعقل الأخير من معاقل المقاومة إذ اعترض طريقها حوالي ٣٠٠٠ مقاوم ينتمون إلى عروش وجلاص والسوس والمثاليث وأولاد سعيد إلا إن هذه المعركة أضعفت المقاومة وأوهنت سكان الساحل [٨٧] .

وتقهقر المقاومون وتغلبت القوات الفرنسية عليهم وفتح طريق القيروان في ٢٦ أكتوبر ١٨٨١ وقد غادرها ما تبقى من المقاومين في الخامس والعشرين من نفس الشهر وحاصر المقدم مولان القيروان وأحاطها بعدد من جنود الخيالة فطاف الفرسان بالمدينة دون مقاومة داخل المدينة وهكذا تمكنت القوات الفرنسية من احتلال مدينة القيروان [٨٨].

ما إن تمت السيطرة على القيروان حتى تفرق رجال المقاومة وتشتتوا فخضع بعضهم لقوات الاحتلال، أما البعض الآخر من المقاومين فقد فضل الهجرة إلى طرابلس أملاً في الدعم العثماني للعودة إلى الوطن وتحريره في ظروف حربية متكافئة واستطاعت بذلك القوات الفرنسية من سيطرتها على كامل البلاد التونسية [٨٩] .

هكذا ساهمت مختلف الجماعات والشرائح والجهاد التونسية في المقاومة قدر طاقتها وحسب ظروفها المتفاوتة وفي جميع الأحوال كان ميزان القوى العسكري غير متكافئ بدرجة مطلقة بين قوى عظمى معتدية ومقاومة منفردة قليلة العدد والعدة نسبياً حتى وإن عظمت إقداماً واستبسالاً ، فقد كانت الغلبة مضمونة للطرف الاستعماري حتى ولو كانت البلاد في

وضع مزدهر ، أما وهي تعاني من واقع الصعوبات المحتدة تحت الضغط الخارجي خلال القرن التاسع عشر فهي غير قادرة بمفردها على الوقوف في وجه العدوان ، هذا بالإضافة إلى دهاء المستعمر المتمثل في الحفاظ على دولة البايات لتيسير التدخل والهيمنة [٩٠] .

الخاتمة

أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة هي :-

١-أخذت فرنسا تخطط من أجل احتلال تونس وذلك منذ أن وطأت أقدامها أرض الجزائر عام ١٨٣٠ وذلك رغبة في تحقيق إمبراطورية فرنسية في المغرب العربي .

٢-شكل مؤتمر برلين ١٨٧٨ ملتقى الدول الأوربية للاتفاق حول تقسيم الحصص فيما بينها وكانت تونس من نصيب فرنسا دون معارضة وهذا ما خططت له من البداية .

٣-دخلت القوات الفرنسية الأراضي التونسية بذريعة هجمات القبائل التونسية وخاصةً قبائل بنو خمير التي كانت تسكن على الحدود التونسية الجزائرية .

٤-كان الباي محمد الصادق ضعيفاً ولم يستطيع رد الاحتلال الفرنسي ولا الدفاع عن تونس .

٥-استطاعت القوات الفرنسية من فرض معاهدة باردو وإعلان وفرض الحماية الفرنسية .

٧-عملت فرنسا على تطبيق سياسة من شأنها تغيير الجهاز الإداري وذلك بإقامة جهاز إداري فرنسي كان على رأس هذا الجهاز المقيم العام الذي تمتع بسلطات وصلاحيات واسعة .

٨-لقد كان رد فعل الشعب التونسي من الاحتلال الفرنسي في مرحلته الأولى بظهور مقاومة شعبية مسلحة أعلن سكانها رفضهم للاحتلال الفرنسي وعدم الرضوخ للسياسة الفرنسية والتي نجحت في عرقلة تقدم القوات الفرنسية ولو لفترة مؤقتة لكنها لم تستطع إنهاء الوجود الفرنسي بعد أن استنفذت جميع وسائل كفاحها المادي والمعنوي .

٩-لم تستطع المقاومة من إنهاء الوجود الفرنسي وذلك لحاجة رجال المقاومة إلى السلاح الحديث إذ لم تستطع أسلحتهم القديمة أن تحقق النصر أمام المدفعية الفرنسية وقوة الأسلحة الحديثة ، وكذلك عدم وجود خطة موحدة للمقاومة نتيجة اختلاف الآراء لدى

قيادات المدن إذ أن زعيم كل مدينة أراد أن يتولى الأمر بنفسه فاستطاعت القوات الفرنسية أن تحتل المدن الواحدة بعد الأخرى.

المصادر

١. أحمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ١٨٥٦ –١٨٨١ تعريب حمادي الساحلي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨٦ .

٢. إحسان حقي ، تونس العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٣. آمنة إبراهيم أبو حجر ، موسوعة المدن العربية، دار أُسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٢م.

٤. الحبيب ثامر ، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، تونس، د/ت .

٥. خليفة الشاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ٢٠٠٥ .

٦. شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ، تونس ، الجزائر) ، ط١ ، مكتبة الأنكلومصرية ، القاهرة ،١٩٧٧ .

٧. الشيباني بنبلغيث ، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ١٨٥٩–١٨٨٢ ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، صفاقس ،١٩٩٥ .

٨. الطاهر عبدالله ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠–١٩٥٦ ، دار المعارف للنشر ، تونس ، د / ت .

٩. عاطف عبد ، قصة وتأريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس – الجزائز) ، تونس ، ١٩٩٩ .

١٠. عبدالجليل التميمي ، المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١ –١٩١٣ ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٢ .

١١. عبدالكريم عزيز ، نضال شعب أبي ١٨٨١–١٩٥٦ ، مركز النشر الجامعي ،٢٠٠١ .

١٢. علي البلهوان ، تونس الثائرة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٤.

١٣. علي المحجوبي ، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، سراس للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ .

١٤. فيصل محمد موسى، موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة ، سبها ، ١٩٩٧ .
١٥. لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧١ .
١٦. محمد المرزوقي ، صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٣ .
١٧. محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ط٣ ، دار سراس للنشر ، ١٩٩٧ .
١٨. محمد علي داهش ، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠٤.
١٩. نقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤ ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ .

الهوامش:

(١)إحسان حقي ، تونس العربية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص١٣٣ .

(٢)خليفة الشاطر وآخرون ، تونس عبر التاريخ الحركة الوطنية ودولة الاستقلال ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ٢٠٠٥ ، ص١٧ .

(٣)جول فيري : وهو زعيم الحزب الجمهوري تولى رئاسة الوزراء الفرنسية قبل فرض الحماية على تونس ولد عام ١٨٢٥عمل في الجزائر وبدأ يتطلع لاحتلال تونس منذ عام ١٨٧٤ وهو من أنصار الحركة التوسعية الفرنسية ويعد مهندس الحملة الفرنسية على تونس . ينظر: الحبيب ثامر ، هذه تونس ، مطبعة الرسالة ، تونس، د/ت ، ص٢٦-٢٧.

(٤)علي المحجوبي ، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس ، سراس للنشر ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص٢٦ .

(٥)عاطف عبد ،قصة وتأريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس– الجزائر)، تونس،١٩٩٩، ص٥٧ .

(٦) فيصل محمد موسى، موجز تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، منشورات الجامعة المفتوحة ، سبها ، ١٩٩٧ ، ص٦٥ .

[٧]محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ط٣ ، دار سراس للنشر ، ١٩٩٧ ، ص٩٨ .

[٨]عبدالجليل التميمي ، المسألة التونسية والسياسة العثمانية ١٨٨١ –١٩١٣، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٢ ، ص٦ .

[٩]فيصل محمد موسى ، المصدر السابق ، ص٩٨ .

[١٠]فيصل محمد موسى ، المصدر السابق ، ص٩٨ .

[١١]محمد الهادي الشريف ، المصدر السابق ، ص٩٦ .

[١٢]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٢٩.

[١٣]عاطف عبد ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

[١٤]إحسان حقي ، المصدر السابق ، ص١٣٥–١٣٦.

[١٥]بنو خمير : وهي قبائل تونسية تقطن المنطقة الجبلية الخميرية الغابية في الشمال التونسي على الحدود التونسية الجزائرية يطلق على سكانها اسم بنو خمير اتخذت القوات الفرنسية من هذه القبائل ذريعة لاحتلال تونس بعد إن ادعت إن هذه القبائل تشن هجمات على القوات الفرنسية في الجزائر . ينظر: علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

[١٦]محمد الهادي الشريف ، المصدر ، ص٩٨ .

[١٧]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

[١٨]بسمارك : وهو رئيس مملكة بروسيا كان له الفضل في تأسيس الامبراطورية الألمانية وبعد تأسيس هذه الإمبراطورية أصبح أول مستشار لها عام ١٨٧١ ترأس مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ وفي حديث له في ذلك المؤتمر (إني أعتقد إن الإجاصة التونسية قد نضجت وآن لكم أن تقطفوها) . ينظر : خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق، ص١٧ .

[١٩]معاهدة سان ستيفانو : وهي المعاهدة التي فرضتها روسيا على الدولة العثمانية بقرية (ستيفانو) بالقرب من اسطنبول بتاريخ ٣ مارس ١٨٧٨، بعد أن شن الروس الهجوم على الدولة العثمانية وحقق الانتصارات عليها واحتلال بعض أجزاء البلقان العثمانية مما أضطر الدولة العثمانية للدخول في هدنة مع روسيا وكان طلب = =الدولة العثمانية الأول هو تصحيح حدود الدولة العلية والجبل الأسود وكانت المعاهدة تحتوي على بنود مجحفة للدولة العثمانية ووقعها عن الدولة العثمانية صفوت باشا . ينظر : نقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية من ١٨٨١–١٩٣٤ ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ ، ص٨٤ .

[٢٠]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص١٧ .

[٢١]الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

[٢٢]المصدر نفسه ، ص٣٦ .

[٢٣]عاطف عبد ، المصدر السابق ، ص ٦٤ .

[٢٤]محمد الصادق : وهو من بايات الأسرة الحسينية في تونس ولد في ٧ شباط ١٨١٣ نصب على عرش تونس في ٧ فيفري ١٨٥٩ تم في عهده معاهدة الحماية الفرنسية في ١٢ أيار ١٨٨١ توفي في ٢٩ تشرين الأول ١٨٨٢ . ينظر : نقولا زيادة ، المصدر السابق ، ص ١٠١ .

[٢٥]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٠-٢١ .

[٢٦]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٠ .

[٢٧]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

[٢٨]لوجيرو : وهو جنرال فرنسي استطاع من احتلال بعض مدن تونس أثناء التوغل الفرنسي في تونس وحيث استطاع احتلال مدينة الكاف وسوق الأربعاء وعين دراهم . ينظر : علي المحجوبي ، المصدر السابق ،ص٤٤.

[٢٩]الكاف : وهي مدينة تونسية تقع على بعد مسافة ٣٠ كيلومتر على الحدود الجزائرية تقع ضمن منطقة التل العالي في تونس وهي تربط غرب البلاد التونسية بالشرق الجزائري .ينظر آمنة إبراهيم أبو حجر ، موسوعة المدن العربية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٢ ، ص١٠٤ .

[٣٠]طبرقة: وهي أحدى مدن الشمال العربي لبلاد تونس تقع على السواحل الشمالية لجوار الحدود التونسية الجزائرية تشتهر هذه المدينة بمينائها التجاري العام.ينظر : المصدر نفسه ،ص٩٥ -٩٦ .

[٣١]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤.

[٣٢]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

[٣٣]لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم ، موسكو ،١٩٧١ ، ص٢٣٠ .

[٣٤]نقولا زيادة ، المصدر السابق ، ص١٣٣-١٣٤ .

[٣٥]شوقي عطاالله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس–الجزائر) ، ط١، مطبعة الانكلومصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٣١١.

[٣٦]روستان : هو قنصل فرنسا في تونس قبل فرض الحماية على تونس وهو أول مقيم عام في تونس في ظل الحماية الفرنسية وله الدور الكبير في التمهيد للحماية الفرنسية وتكريس النفوذ الفرنسي في تونس والتأثير على باي تونس محمد الصادق في فرض معاهدة الحماية . ينظر : علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٣٧)بريار : وهو جنرال فرنسي وقائد الحملة الفرنسية على تونس وفرض الحصار على قصر باردو وإمضاء معاهدة باردو مع الباي محمد الصادق . ينظر : نقولا زيادة ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

(٣٨)شوقي عطا الله الجمل ، المصدر السابق، ص٣٠٨ .

(٣٩)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

(٤٠)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٦٠ .

(٤١)خليفة الشاطر وآخرون، المصدر السابق، ص٢١.

(٤٢)المصدر نفسه ، ص٢٣ .

(٤٣)محمد الهادي الشريف ، المصدر السابق ، ٩٩-١٠٠ .

(٤٤)شوقي عطا الله الجمل ، المصدر السابق ، ص٣٠٨ -٣٠٩ . أحمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ١٨٥٦ -١٨٨١ تعريب حمادي الساحلي ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص١٢-١٣.

(٤٥)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤-٤٥ .

(٤٦)صفاقس :وهي عاصمة الجنوب التونسي تأسست سنة ٨٤٩م وهي مرفأ تجاري كبير ومن أبرز مدنها سوسة . ينظر: الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص٣ .

(٤٧)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٤٨)قابس : وهي أحدى مدن بلاد تونس تقع على مسافة ٤٠٤ كيلومتر جنوب مدينة تونس وتتكون من بلدين هما منزل وجاره . ينظر : الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص٤ .

(٤٩)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

(٥٠)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٥١)أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٨ .

(٥٢)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

(٥٣)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٥٤)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٥

(٥٥)الشيباني بنبلغيث ، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي ١٨٥٩-١٨٨٢ ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي ، صفاقس ،١٩٩٥، ص٢١٦ .

(٥٦)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

(٥٧)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٦ . أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٢٥ .

(٥٨)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٣ .

[٥٩]علي البلهوان ، تونس الثائرة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٤، ص١٠٤ .

[٦٠]العربي زروق: ولد عام١٨٢٣وهورئيس بلدية تونس، تعلم بالمدرسة الحربية بباردو وتخرج برتبة ملازم وأصبح لواء واختارته الحكومة ليكون مديراً للمدرسة الصادقية، اعترض على إمضاء الباي محمد الصادق وثيقة الحماية فجرده الباي من وظائفه وفرض عليه الإقامة الجبرية ثم التجأ إلى السفارة البريطانية ثم تحول إلى الاستانة توفى عام١٩٠٢بالمدينة المنورة. ينظر: عبدالكريم عزيز، نضال شعب أبي١٨٨١-١٩٥٦ ، مركز النشر الجامعي ،٢٠٠١ ، ص١٠٧ .

[٦١]الطاهر عبدالله ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة ١٨٣٠-١٩٥٦ ، دار المعارف للنشر ، تونس ، د / ت ، ص٢٥ -٢٦ .

[٦٢]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤ .

[٦٣]الطاهر عبدالله ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

[٦٤]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢١٥ .

[٦٥]علي الحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٤ – ٤٥ .

[٦٦]محمد علي داهش ، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، ٢٠٠٤ ، ص٤٤ .

[٦٧]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

[٦٨]علي بن خليفة : ولد في قابس كان عاملاً في عدة مناطق كنفات والهمامة وجلاص والقيروان والمثاليث ، أعلن الثورة على الباي محمد الصادق مع العديد من المقاومين وهو الذي نظم مقاومة الاحتلال في مدينة صفاقس وقابس وبعد سقوط القيروان ذهب من نوفمبر ١٨٨١الى طرابلس توفي سنه ١٨٨٥ ينظر : الطاهر عبدالله ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

[٦٩]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

[٧٠]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

[٧١]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٧٥ .

[٧٢]الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢١٩ . علي البلهوان ، المصدر السابق ، ص١٠٤ .

[٧٣]علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٤٩ .

[٧٤]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

[٧٥]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦.

[٧٦]عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٧٨ .

[٧٧]خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ . أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

(٧٨)الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢٢٠ .

(٧٩)المصدر نفسه ، ص٢٢١ .

(٨٠)محمد المرزوقي ، صراع مع الحماية ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٣ ، ص٥٨ .

(٨١)عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

(٨٢)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(٨٣) الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ .

(٨٤)عبدالكريم عزيز ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

(٨٥)الشيباني بنبلغيث ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ . أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٧ .

(٨٦)خليفة الشاطر وآخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٨٧)علي المحجوبي ، المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٨٨)أحمد القصاب ، المصدر السابق ، ص٣٩ .

(٨٩)خليفة الشاطر آخرون ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ص٢٧ .